الغيبيات لدى الشاعرين المعرِّي و التجاني يوسف بشير
(الروح – الموت – الجنّ)

سعد عبد القادر العاقب، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة بحري

مستخلص

ينحصر الحديث في هذا البحث في ثلاثة عناصر من الغيبيات عند الشاعرين: أبي العلاء العري والتيجاني يوسف بشير، وهي الروح والموت والجن، وذلك أن بعض الروابط النفسية ربطت بين الشاعرين، مثل العزلة التي عاشا فيها فولدت فيهما نزعة تفكير عميق يجنح إلى الفلسفة وتتبع آثار الفلاسفة في النظر إلى تلك العناصر الغيبية الثلاثة، وقد يختلف الشاعران أحيانا في رؤيتهما الشعرية لكل واحد من هذه العناصر، إذ إن التيجاني يقبل على الحياة أحيانا ويرهب الموت، لكن المعري كان ساخطا على الحياة متمنيا الرحيلَ عنها، على أن كلا الشاعرين أحيطا بأسباب الموت، فكان الموت الجسدي يحكم قبضته على التيجاني بسبب داء الصدر، وكان الموت المعنوي يحيط بالمعري بسبب نزعة التشاؤم، فجاء ذكر الغيبيات الثلاثة عند الشاعرين بنظرة فلسفية عميقة تختلف عن نظرة غيرهما من الشعراء. ولم تخلُ نظرة الشاعرين لهذه الغيبيات من الأثر القديم مثل معتقدات القدماء في الجن والروح وغير ذلك.

Abstract

The scope of the present study is limited to the discussion of three elements of the unseen in the two above-mentioned poets' writings. They are the spirit, death and the Jinn, as some psychological links bind the two poets (Abi'l ala Al Ma'arri and Attigani Yousuf Bashir). Both poets lived in isolation that generated a tendency to deep thinking that drove them philosophy. They both investigated on how philosophers viewed these three aspects of the unseen. The two poets might differ in their poetic vision as for each of these elements. Attigani embraces life and fears death. Al Ma'arri is discontented with life and wishes to leave it. However the two poets were surrounded with causes of death. The physical death was devouring Attigani as a result of chest disease, whereas Al Ma'arri was surrounded with the moral death resulting from his pessimistic tendency. Accordingly , the three aspects of the unseen are handled in their writings with a deep philosophical vision that distinguishes them from other poets. The way the two poets look at the three aspects of the unseen include old evidence like the beliefs of the ancients in the Jinn, spirit etc

الدراسة:

شاع التفلسف في الشعر بين كثير من الشعراء في عصور الأدب كلها، وهذا الذي جمع بين أبي العلاء المعري والتجاني، فقد حاول الشاعران اكتشاف ما خفي من أسرار الوجود، وسَعَيَا وراء حقائق معلومة لدى عامة الناس، لكنها خفية غير محسوسة في بعض جوانبها.

هناك أيضاً تشابه بين بيئة الشاعرين، ولا أخطئ إذا قلت إن البؤس هو الجامع بينهما، البؤس الذي سببه المرض، فقد كان المعري كفيفاً عن صور الحياة التي يراها الناس، بصيراً بجوهرها، معرضاً عن عرضها الذي لا يراه، و كان التجاني معتل البدن، صحيح الفكرة والقريحة، لذلك وجد الشاعران في العزلة ملاذاً، هي عزلة نفسية، فهما قد انصرفا عن العالم المادي الذي ينشغل به الناس، وانشغلا بالعالم الآخر الذي انشغل عنه الناس حولهم.

هذه العزلة دفعت الشاعرين إلى التأمل العميق فطفقا يبحثان عن أمور غيبية، ويذهبان في ذلك مذهب الفلاسفة، وفي هذا المقال أذكر التشابه بين المعري والتيجاني، وقد أشار إلى ذلك التشابه بعض أساتذتنا، كالبروفيسور عز الدين الأمين والدكتور أحمد البدوي، عندما تحدثا عن التيجاني يوسف بشير.

أمور الغيب كثيرة، وقد أسهب العلماء والكتاب في الحديث عنها، لكن قصرت حديثي في هذا المقال على ثلاثة عناصر، هي الروح، الموت، والجنّ. وهي أكثر الأمور الغيبية التي انشغل بها الشاعران.

الروح:

لم تخرج نظرة الشاعرين إلى الروح عن الإطار الديني الذي يقول إن الروح شيء غير مرئي، وهذا ما أخذه الناس، وآمنوا به فحسب (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [1]

لكن الشاعرين، نظرا غير نظرة العامة إلى شيء يكون في البدن، وهو سبب الحركات، والتفكير وغير ذلك، وعلى الرغم من ذلك فإننا لا نرى هذا الشيء الذي هو جزء منا، وقد اتبع الشاعران في نظرتهما إلى الروح أقوال كبار فلاسفة التصوف، فالروح عندهم أساس كل إبداع في الوجود، كقول الحلاج قبيل قتله: (أنت الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إله، تتجلى كما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن صورة، والصورة فيها الروح الناطقة بالبيان والبرهان) [2]. ولم يستطع الإنسان تحديد الروح مكاناً ولا موضعاً إلا اجتهاداً لا تسنده حجة، كقول الشاطبي في كتاب الإفادات والإنشاءات (جهة اليسار في القلب هي محل الروح) [3]،

والروح ملازمة للبدن لذلك تعتل باعتلاله أحياناً وتسلم من علته أحياناً أخرى، وقد تعتل الروح ويسلم البدن، فقد سأل هرون الرشيد، بختيشوع الطبيب، هل يُحمّ الروح؟ قال: نعم من مجالسة الثقلاء. وقد ذكر هذا الخبر مجموعة من الكتاب والعلماء، كالزمخشري [4]، وإبراهيم البيهقي [5]، والراغب الأصبهاني [6]، والثعالبي [7]

ISSN: 1858- 7682 (Online) ISSN: 1858- 7666 (Print)

وبناء على هذه الأقوال السابقة للعلماء فإن المعري والتيجاني نظرا في أمر الروح، كأنهما تتبعا هذه الأقوال، وصاغاها شعراً، من حيث ربط الروح بالجسد، واقترانها بالإبداع والحياة. يرى أبو العلاء المعري في بعض آرائه أن الروح هي سبب الشقاء، ولو كان الإنسان بلا روح لما أحس بالألم، فهو بذلك يميز بين أصحاب العقول المفكرين وبين أصحاب الغباء، فإن المعري يرى علة التفكير التي تفني الجسد مقترنة بالروح اقترانا وثيقا، كقوله:

وكان حلولُ الروحِ في الجسم نكبةً
على خيرٍ معيا أَو على شرِّ معلمِ [8]

وقوله:

يغْنَى الفتى بالمنايا عن مآربِهِ
وَيُنْفَخُ الروحُ في طفلٍ فيَفْتَقِرُ [9]

ويرى المعري المعري أيضاً أن الروح أمر غامض، ويسأل عن موضع الروح وحالها بعد خروجها من الجسد كقوله:

لا حسّ للجسم بعد الروح نَعلمُهُ
فهل تُحِسُّ إذا بانَت عن الجسدِ؟ [10]

ويمضي في سؤاله عن غموض الروح وخفائها كقوله:

الروح تنأى فلا يُدرَى بموضعِها
وفي الترابِ لعمري يُرْفَتُ الجسدُ [11]

وفي موضع آخر يرى المعري أن اجتماع الروح بالجسد سبب في شقاء الروح، كما رأى قبل ذلك أن الروح سبب في شقاء الجسد، انظر قوله:

مازالت الروحُ قبل اليومِ في دعةٍ
حتى استقرت بحكمِ اللّهِ في الجسدِ [12]

أما التيجاني، فإن نظرته للروح، فلم تخرج من كونها افتراضات، يُجَمِّل بها هذا الشيء الخفي، مستخدماً في ذلك عناصر الجمال الطبيعي في تصويره حتى كأنك ترى الروح ترفرف أمامك، فقد شبهها بالطائر الغرد في قوله: [13]

الروحُ ما الروحُ إلا طائرٌ غرِدٌ
له جناحانِ من نورٍ وظلماءِ
كطائرِ الروضِ إلا أنه أبداً
يشدو هنالك شدوَ الحائرِ النائي
اللّهُ والروحُ كم نسعى وراءهما
ونستعينُ بأمواتٍ وأحياءِ
هما الخَفِيَّانِ في نورٍ وفي غَسَقِ
ترفَّعا عن إشاراتٍ وإيماءِ
يا أيها الروحُ كم تدنو لمقرُبةٍ
وأنت أبعدُ من يُوحٍ وعلواءِ
جرى وراءك سقراطٌ فما عَلِقتْ
كفّاه منك بشيءٍ وابنُ سيناءِ

وذهب التيجاني إلى تجسيد حالة الحيرة وطول بحث البشر عن حقيقة الروح، فذكر بعض العظماء في الطب والفلسفة والطب، مثل سقراط وابن سينا.

ربما أثرت في المعري، عاطفة التشاؤم التي كانت مسيطرة عليه فرأى في الروح شقاءً وتعبا، لكن التجاني رأى في الروح حقيقة، يبحث عنها المفكر، أما تشبيه التجاني للروح بالطائر، فلا يخلو هذا من أثر جاهلي، فقد كان الجاهليون يعتقدون أن الرجل إذا قُتِل، خرج من رأسه طائر اسمه الهامة، يصيح (اسقوني

اسقوني)٠ [14] ولا يسكت هذا الطائر إلا إذا أخذ أهل القتيل بالثأر، كماأسقط التيجاني حيرته في الروح، علي الصورة التي تخيلها عليها، (فالحائر النائي) هو التيجاني نفسه، وهذا الأمر فاش عند الشعراء الذين يقوم شعرهم على التأمل العميق.

وفي موضع آخر يوافق التجانيُّ المعريَّ في نسبة شقاء الجسد والنفس إلى الروح التي تتحرك في العنصر الميت (الجسد)، فيجعل الروح سبب التفكير والشك الذي يضني عقل الإنسان وجسده، يشير التيجاني بذلك إلى قضية شغلت الفلاسفة والفقهاء والعلماء والأدباء، وهي قضية أصل الروح التي لم يدركها أحد من البشر وهي ترف في جسده وتحرك عواطفه البشرية وتشعل قلبه وفكره فهي من القضايا الإيمانية التي تدور في عقول المفكرين وغيرهم:

يا مُظلم الروح كَم تَشقى عَلى حَرق مِما يُكابد مِنكَ القَلب وَالرُوح

هَدى بِجَنبيكَ مَذبوح يَحف بِهِ
في عالم الصَدر قَلب مِنكَ مَذبوحُ

مَضى بِكَ العَقل لَم تَسعَد بِهِ أَثَراً
وَاِعتادَكَ الشَك إِذ ضاقَت بِكَ السوحُ

وَظلْتَ في الأَرض مَأخوذ فَلا ظَفرت
بِكَ الدِيار وَلا اِستَولى بِكَ اللوحُ

معلقاً في يَد الأَيام مطرحاً
في هامش الغَيب لا عِيسى وَلا نوحُ

وَدَعت أَمس يَقيني في مودأة
غَبراء تَعصف في أَعماقِها الريحُ

تَكَسَرَت شَمس دُنيا القَلب وَاِنطَفَأَت
في عالم الروح نَفسي والمَصابيحُ

وَيَحي وَوَيح الهُدى المَقبور لَيسَ لَهُ
رَجعي وَقَد أَوغَلت في التَباريحُ

لا أَعرف اليَوم إِلا أَنَّهُ لِغَد
باب تَمر عَلى مغلاقه يوح [15]

كذلك يرى التجاني إن الحس والشعور لا يكون في الجسد إنما يكون في الروح لأنها سبب الحياة في الجسد، وبغيرها ينعدم الحس الذي هو مصدر كل إبداع، كقوله يصف شاعريته وتسمية ديوانه (إشراقة):

قطرات من الصبا والشبابِ الغضِّ منسابةٌ به منساقَهْ

ورهامٌ من روحيَ الولهانِ أمكنتْ في الزمانِ وثاقَهْ

ظل يهفو إلى السماءِ ويشكو لوعةَ الروحِ هاهنا واحتراقَهْ [16]

وفي نفس الشاعرين أثر ديني عند حديثهما عن الروح، ولا شك أن كتب العقيدة التى قرآها أثرت في فكرهما ونظرتهما للروح، فمها يقرنان الروح بكل ما هو خفي وبعيد عن إدراك البشر، خاصة أنهما تحدثا عن الموت وما يعتري منه الجسد والنفس، وهما في ذلك يرميان إلى بلوغ الروح الأخرى التي تدخل الجسد بعد موته، هي التي ذكرها الطحاوي في قوله: (فَإِنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الجَسَدِ لَيْسَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْهُودِ في الدُّنْيَا، بَلْ تُعَادُ الرُّوحُ إِلَيْهِ إِعَادَةً غَيْرَ الْإِعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ في الدُّنْيَا) [17]،

الموت:

كان التجاني محاطاً بأسباب الموت، أعني

ISSN: 1858- 7682 (Online) ISSN: 1858- 7666 (Print)

مرضه الذي أنهك جسده زمناً طويلاً، وقد اُعْتُبِطَ مأسوفاً على شبابه، فكان الموت عنده، نهاية الإنسان وانقطاعه عن العالم، واختلفت نظرة التجاني للموت عن نظرة المعري، فالمعري كان يرى في الموت راحةً من عناء الحياة، والموت عند التجاني هو ما يرقبه الإنسان ويخشاه ويحذره، لأنه نقيض الروح التي تبعث الحركة لذلك يسأل عن كنه الموت كما سأل عن كنه الروح، عندما رثى الفقيد أبا القاسم أحمد هاشم فقال:

أهو الموتُ ذلك الأبدُ المطويُّ في نفسهِ على سيمائهْ ؟

هذه بيننا المظاهرُ والسرّ دفينٌ هناكَ في مومِيائهْ ؟

أهو الموت هذه الخُطوةُ الأولى إلى منقذِ الورى من عنائهْ ؟

أهو الموت هذه الهدأةُ الكبرى على وهْدةِ الثرى أو عرائهْ ؟ [18]

وفي بيت آخر من القصيدة يظهر شيء من التشاؤم، و تساوي الموت والحياة في نظر الشاعر في قوله:

فاجهشي بالبكاءِ أيتها الأنفسُ أو أجمِلِي على لأوائهْ

هذه النزعة التشاؤمية التي بثها التجاني في بيته هذا، فيها شيءٌ من نفس المعري في قوله:

وشبيهٌ صوتُ النَّعِيِّ إذ قِيسَ بصوتِ البـشيرِ في كلِّ نادِ [19]

ولكنّ التيجاني يعود فيتأثر بتشاؤم المعرّي في نظرته للموت، فهو يتمنى لو أنه مات طفلا، في قوله:

لَوددت أَني في الطُفولة مائت لَو كُنت أَسمَع بِالشَباب العاثر [20]

والأحياء عند التجاني إنما خلقوا لينتظروا حتوفهم وآجالهم لإيمانهم بأنهم غير خالدين، يحس بذلك حتى الطفل انظر قوله:

تبارك الذي خلقْ من مضغةٍ ومن علقْ
رمى بهذا الطفل في الأرضِ ومن ثم رزقْ
يدير عينيه ويستفسرُ عن سرّ الشفقْ
كأنه يصرخُ أن الموت بالشمس علِقْ [21]

أما المعري فإنه قلد القدماء في ذكر الموت في إيمانهم أن الموت يفني حتى الملوك والأمم، لكنه خلط هذا بتشاؤمه المعهود فيه، لكنه أضاف نظرته الخاصة ونزعته التشاؤمية التي لا ترى جميلا في الحياة، وأشار إلى أن الحياة ليست للسعادة فقال:

وهل أفلتَ الأيام كسرى وحوله
مرازبُهُ أو قيصرٌ وبطارقُهْ
أبارقُ هذا الموت سبح ربَّهُ
نعمْ وأعانت أَكمُهُ وأبارقُهْ
ودنياكَ ليست للسرورِ مُعَدَّةً
فمن ناله من أهلِها فهو سارقُهْ [22]

والمعري كما ذكرت كان متمنياً للموت فهو يراه أفضل من الحياة التي يقضيها المرء في الألم والبؤس قال:

إن يقربِ الموتُ مني فلست أكره قربَهْ
وذلك أمنعُ حصنٍ يصيِّر القبر دربَهْ
وإن رُدِدْتُ لأصليَ دُفِنْتُ في شرِّ تُربَهْ [23]

والموت عند المعري سمو بعد انحدار كقوله:

فلا يَرْهَبنَّ الموتَ من ظلَّ راكباً

فإن انحداراً في الترابِ صعودُ [24]

يتفق المعري والتجاني، في التفلسف عند الحديث عن الموت وغيره من أمور الغيب، ولكن يفرق بينهما أن التجاني كان يحذر الموت كغيره من بني البشر، خلافاً للمعري الذي كان يزين للناس الموت، ولعل هذا الأمر يرد إلى صغر سن التجاني وشيخوخة المعري، كما أن المعرّي لم يكن يستلذ بجمال الدنيا، وكان التجاني متلمساً لمواطن الجمال الدنيوي في الطبيعة وغيرها.

الجن:

الجن عند العلماء أدنى مرتبة من الإنس، فقد ذكر الجاحظ [25] أن أعلى الخلق مرتبة هم الملائكة ثم الإنس ثم الجن،وقد كانت الأرض معمورة بالجن قبل أن يسكنها البشر، يذكر الطبري أن أول من سكن الأرضَ الجنُّ فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضًا. فبعث اللّه إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال.ثم خلق آدم فأسكنه إياها، [26] فلذلك قال: (إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً) [27] ومع ذلك فإن الإنس يرهبون الجن، وقد اتخذ المعري الجن رمزاً للوحشة التي يريدها، فهو يفضل الابتعاد عن البشر، ويرى أن السلامة من الشر هي الابتعاد عن بني الإنسان،وأنّه لاينبغي للنفس أن ترهب الوحشة والانفراد بسبب وجود الجن والشياطين، لأن النفس البشرية شيطان كقوله:

جزى الله عني مؤنسي بصدوده

جميلاً ففى الإيحاشِ ما هو إيناسُ

تخافين شيطاناً من الجنِّ مارداً وعندَك شيطانٌ من الإنسِ خنّاسُ [28]

وقد اشترك التجاني والمعرّي في نسب الأمر الجيد الصنعة إلى الجن، يتبعان في ذلك زعم العرب القدماء الذين ينسبون المعاني الجيدة إلى الجن والشياطين، فنسبوا جيد الصنعة إلى عبقر، وذكر االراغب الأصبهاني قول العرب: (شيطان عبقر. ونسب كل شيء في الجودة إلى عبقر حتى قيل لم أر عبقريا مثله) [29]، فعلى هذا الأساس جعلوا لكل شاعر شيطاناً يملي عليه الشعر يقول المعري:

إذا غُيِّبَ المرء استسرَّ حديثُهُ

ولم تخبرِ الأفكارُ عنه بما يُغْني

وقد كان أربابُ الفصاحةِ كلَّما

رأوا حَسَناً عدُّوه من صنعةِ الجنِّ [30]

وقد قلد التجاني هذا المعنى لكنه وصف به نفسه فقال:

وعلى مضجعي نثارُ من السوسنِ غَضٌّ مقدّسٌ في بِقاعِهْ

في يميني يراعُ نابغةِ الفصحى وكلُّ امرئٍ رهينُ يراعِهْ

وَعلى هامَتي أَكاليل سحبانَ وَفي شرتي أَداة مصاعِهْ

ندّ عن عبقرٍ وطافَ بماءِ النِّيلِ واصطافَ مؤْذِناً بارتباعِهْ [31]

ويوقن التجاني أن العقل الذي يولد منه الفن والإبداع إنما هو ضرب من طبائع الجن

 ISSN: 1858- 7682 (Online) ISSN: 1858- 7666 (Print)

وأحوالها فيقول:

مَلَكٌ من بني الضياءِ وجنِّيٌّ سليلُ الظلامِ في أرض عبْقَرْ

المسمَّى بالعقلِ عنـدك في الآزالِ من سيَّرَ الحياةَ وسَطَّرْ [32]

ويصور التيجاني أيضاً الإبداع الشعري ضربا من الخوارق التي يأخذها صاحبها من صفات الجن وطبائعها ،حتى جعل وجود الشاعر وجودا مغايراً لوجود غيره، فهو إنسان خفي يجالس الجن،حتى أن العطر والأرج الذي يشتمه، مأخوذ من حدائق الجن وذلك في قوله:

فَتَخير وَصِفْ وصوِّرْ رُؤى الوَحي وَصُغْ وَاصنَع الوُجود المُغايرْ

وَأَهد تِلكَ الَّتي بِنَفسك مِنها أَرج مِن مجاجة الحُبِّ عاطرْ

زَهراً أَنجَبت حَدائق جِنَّانٍ أَفانينُه وَرَوضةَ شاعرْ [33]

ويجعل التجاني صلة الشعر بالوجدان الإنساني، واهتزاز المشاعر الإنسانية ضربا من فعل الجن، فهو يطلب من منشده أن يتغنى (بأنشودة الجن)، مضيفا حسن الوجه والشباب إلى عميق الشعر، وعمق تأثيره في النفس البشرية، فاجتماع الحسن البشري بجيد الشعر عند التجاني معدود من سمات الجن التي لا يألفها البشر، وهي حالة من النشوة الخفية التي لا يعرف لها المرء تفسيرا منطقيا، وقد استلهم التيجاني هذه الحالة من عمق تجربته النفسية مع الشعر، ففي قصيدته (أنشودة الجن) صورٌ شتى للجن والمواضع التي يكون فيها حاضرا مثل البادية الخالية التي يطوف بها الجن، كذلك ومجالس الغناء والمعازف [34]

قُم يا طَرير الشَباب غَن لَنا غَنِّ
يا حُلو يا مُستَطاب أُنشودَة الجنِّ
وَاقطَف لي الأَعناب وَأَملأ بِها دَني
مِن عَبقَري الرباب أَو حرم الفَن
صَح في الرُبى وَالوَهاد وَاستَرقص البيدا
وَاسكُب عَلى كُلِ ناد ما يَسحَر الغيدا
وَفَجر الأَعواد رَجعا وَترديدا
حَتّى تَرى في البِلاد مِن فَرَح عِيدا
وَامسَح عَلى زرياب وَاطمُس عَلى مَعبَد
وَامش عَلى الأَحقاب وَطُف عَلى المربد
وَاغش كَنار الغاب في هَدأة المَرقَد
وَحدث الأَعراب عَن رَوعة المَشهَد
صور عَلى الأَعصاب وَارسُم عَلى حِسي
جَمالك الهياب مِن رَوعة الجَرَس

وهذا يتصل بقوله في موضع آخر، حيث يجعل الإلهام الباعث للفن في نفس الإنسان مقترنا بالجن وكونها مما لا يألفها الطبع البشري:

أَنتَ يا واهب أَلحاني وَيَا ملهمَ فَني
أَنتَ فَجَرتَ لِيَ اللَحن فَفيأتك أَمني
إِنَّما أَصنَع مِن كَرَمِك صَهباني وَدَني
يا أَماني الَّتي أَعبدها في كُل لَون
وَأَغاني الَّتي أَلهمها مُلْهُمُ جِنِّ [35]

استخدم التجاني الجن استخداماً شاعرياً، حيث استوحى منها معاني الإبداع التي يعجز عنها البشر، فالغرض من إيراد الجن عنده إنما يكون لتعميق المعنى، والتفرد بما يتنافس فيه الشعراء من معانٍ، لكن المعري أورد الجن

في شعره ليبرز معرفته وثقافته الواسعة بصفات هذه المخلوقات، فتجد في بعض شعره عن الجن، حديث العالم الفقيه الذي يحدث الناس عن مقدرة الجن على التشكل بشتى الأشكال وقطعها المسافات البعيدة في زمن يسير لا يستطيعه الإنسان، ولم يكن المعري يريد من حديثه عن الجن إلا ما يبحث عنه الإنسان من صفات الجن وطبائعها، كالقدرة الخارقة التي لا يرومها الإنسي، والتشكل بأشكال الحيوانات، وحمل الخير والشر والوسوسة للإنسان والتطواف في أنحاء الأرض في زمن يسير، وأن الجن يعمرون طويلا فيشهدون أحداث القرون ومعاصرة الممالك والملوك، والدول التي سبقت العصر الذي هم فيه،وأن الجن يتحكمون أحيانا في عقول عظماء البشر. نظم المعري قصيدة على لسان جني سماه أبا هدرش يصف فيها هذه الأمور وهي: [36]

حمدت من حطِّ أوزاري ومزَّقها عنَّي، فأصبح ذنبي اليوم مغفوراً

وكنت آلف من أتراب قرطبة ❖ خوداً، وبالصِّين أخرى بنت يغبورا

أزور تلك وهذي، غير مكترث ❖ في ليلةٍ، قبل أن أستوضح النُّورا

ولا أمرُّ بوحشيٍّ ولا بشرٍ، ❖ إلاّ وغادرته ولهان مذعورا

أروِّع الزِّنج إلماماً بنسوتها ❖ والرُّوم والتُّرك والسِّقلاب والغورا

وأركب الهيق في الظَّلماء معتسفاً ❖ أولا، فذبَّ رياد بات مقرورا

وأحضر الشَّرب أعروهم بآبدةٍ ❖ يزجون عوداً ومزماراً وطُنبوراً

فلا أفارقهم حتَّى يكون لهم فعلٌ، ❖ يظلُّ به إبليس مسرورا

وأصرف العدل ختلاً عن أمانته ❖ حتى يخون، وحتى يشهد الزُّورا

وكم صرعت عواناً في لظى لهبٍ ❖ قامت تمارس للأطفال مسجوراً

وذادني المرء نوحٌ عن سفينته، ❖ ضرباً، إلى أن غدا الظُّنبوب مكسورا

وطرت في زمن الطُّوفان معتلياً ❖ في الجوِّ حتى رأيت الماء محسورا

وقد عرضت لموسى في تفرُّده ❖ بالشاء ينتج عمروساً وفرفورا

لم أخله من حديثٍ مَّا، ووسوسةٍ ❖ إذ دكَّ ربُّك في تكليمه الطُّورا

أضللت رأي أبي ساسان عن رشدٍ ❖ وسرت مستخفياً في جيش سابورا

وساد بهرام جور وهو لي تبعٌ ❖ أيَّام يبني على علاَّته جورا

فتارةً أنا صلٌّ في نكارته، ❖ وربَّما أبصرتني العين عصفورا

تلوح لي الإنس عوراً أو ذوي حولٍ ❖ من بعد ما عشت بالعصيان مشهورا

حتى إذا انفضَّت الدُّنيا ونودي: إسـ ❖ ـرافيل ويحك، هلاَّ تنفخ الصُّورا

أماتني الله شيئاً، ثمّ أيقظني ❖ لمبعثي، فرزقت الخلد مبرورا

ISSN: 1858- 7682 (Online) ISSN: 1858-7666 (Print)

لا يخرج قول المعري هذا عن كونه إظهارا لمعرفته بأحوال الجن والشياطين وقدرتهم الخارقة، ذلك لأنه أختار اقوى البشر وهم الملوك والزعماء والقواد، ثم يذكر فعل الجن في نفوس البشر، وهو إغواؤهم وجنوح البشر عن الطريق القويم بسبب وسوسة الشيطان، لكن المعري ساق هذا المعني في أسلوب أدبي رفيع حيث أجرى القول على لسان الجني أبي هّدْرَش، ولا شكّ أن المعري قد أظهر نزعته الانعزالية وتجنب البشر، حين تخيل أن هذا الجني قد خاطبه وروى له أحداث حياته، فالمعري قد استغنى عن مخالطة البشر ولجأ إلى حياة خفية، دفعته إلى تلمس أساليب الخفاء والعزلة، فوجد الجن أفضل صورة لتجسيد حالته

لم يذهب التيجاني في ذكر الجن مذهب المعري هذا، بل تلمس رمزية الجن للإبداع البشري فجسدها في صور عديدة، لذلك تجد حديثه عن الجن مقتضبا في أبيات، والمعري يطيل وصف الجن لأنه – مع تلمسه رمزيتها وخفاءها يظهر للقارئ علمه بالجن وخفايا الأمور، كذلك يرى المعري في الجن عالما خفيا يهرب إليه من عالم البشر، وذلك حين يصف وحشة الصحراء، فهو يرى فيها ملاذا آمنا يبتعد عن الإنسان وشروره كقوله: [37]

وَخَرقٌ مَفازَةٍ كُسِيَت سَراباً
يُعَرّي الذِئبَ مِن وَبَرٍ مُكِنِّ
شَكَت سَحَراً مِنَ السَبَراتِ قُرّاً
فَأَوسَعَها الهَجيرُ مِنَ القُطُنِّ
وَتَعزِفُ جِنُّها وَاللَيلُ داجٍ
إِذا خَلَتِ الجَنادِبُ مِن تَغَني
يَخالُ الغِرُّ سَرحَ بَني أُقَيش
يُؤَنِّقُ في مَراتِعِها بِسَنِّ
أَراكَ إِذا اِنفَرَدتَ كُفيتَ شَرّاً
مِنَ الخَلِّ المُعاشِرِ وَالمِعَنِّ

ويكرر المعري ارتباط الأماكن البعيدة من الناس بالجن، طلبا لمعنى التوحش اتقاءً للبشر، فهو يذكر مواضع المياه التي أصبح فيها الصبح بعد ليل طويل موحش كانت فيه الجن تقيم حول ذلك الموضع، ومثل هذه الأوصاف إنما يقع فيها المعري طلبا للتوحش والانفراد الذي يقيه الاجتماع ببني البشر الذين يرى فيهم كل شر:

وكائنْ قد وَرَدْتَ بها غَديراً
ولِلْمُهُجاتِ بالرّيّ ارْتِهَانُ
به غَرْقَى النّجُومِ فبيْنَ طافٍ
وراسٍ يَسْتَسِرّ ويُسْتَبانُ
أجَدَّ به غَواني الجِنّ لَعْباً
فأعْجَلَها الصّبَاحُ وفيه جانُ
فَصِيمٌ نِصْفُهُ في الماء بادٍ
ونِصْفٌ في السّماء به تُزانُ [38]

الخاتمة

يدرس هذا البحث التشابه بين الشاعرين أبي العلاء والمعري والتيجاني يوسف بشير في نظرتها للغيبيات، وذلك باستعراض شعرهما الذي ذكرا فيه الغيبيات وقد حصرتها في (الروح- الموت – الجن)، والسبب الذي أوجد تشابها بين الشاعرين في هذا المجال أنهما

قاسيا العزلة التي كانت مبعثا للتفكير العميق عند ذكر هذه الأمور الغيبية، فالشاعران مالا كثيرا إلى التفلسف في شعرهما، ويظهر العمق الفلسفي في شعرهما عند ذكر هذه الغيبيات، ومما يجدر ذكره أنهما تتبعا أقوال القدماء ومعتقداتهم في الجن والروح، فكانت نظرتها إلى هذين العنصرين مستمدة من التراث الأسطوري العربي، مثل ذكر وادي عبقر الذي يعده قدماء العرب من مساكن الجن، ونسبة كل صنعة جيدة إلى الجن باعتبار تلك الصنعة خارقة لما اعتاده هؤلاء البشر.

ثمة اختلاف بين التيجاني والمعري في النظرة إلى الموت، فقد كان التيجاني يرى في الموت نهاية الحياة التي يحذرها كل إنسان على الأرض، لكن المعري كان يرى في الموت راحة من شرور الحياة، وذلك بسبب نزعة التشاؤم عند المعري، بينما نجد في التجاني حبا للحياة والشعر، على الرغم من أن داء الصدر كان قد أحكم حوله طوق الموت.

الهوامش

[1] سورة الإسراء، الآية 85

[2] أخبار الحلاج -، ص 65

[3] الإفادات والإنشاءات - (الشاطبي) ص 47

[4] ربيع الأبرار ونصوص الأخبار- (الزمخشري) ج2 ص 56

[5] المحاسن والمساوئ - إبراهيم البيهقي ص54

[6] محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصبهاني، ج 3 ص77

[7] اللطف واللطائف - (الثعالبي) ص 154

[8] لزوم ما لا يلزم ج 2 ص 438

[9] المصدر نفسه – ج1 ص 434

[10] المصدر نفسه – ج1 ص 374

[11] المصدر نفسه – ج 1 ص319

[12] المصدر نفسه ج1 ص 371

[13] ديوان إشراقة ص 12

[14] المستطرف في كل فن مستظرف – الأبشيهي، ص356

[15] ديوان إشراقة ص 20

[16] المصدر نفسه - ص2

[17] شرح العقيدة الطحاوية، الأذرعي، ت/ ناصر الدين الألباني، طبعة مصر، 2005م ص 399

ISSN: 1858- 7682 (Online) ISSN: 1858- 7666 (Print)

[18] المصدر نفسه – ص 76

[19] سقط الزند – ص7

[20] ديوان إشراقة- ص70

[21] المصدر نفسه ص 49

[22] لزوم ما لا يلزم ج2 ص 180

[23] المصدر نفسه – ج1 ص 134

[24] المصدر نفسه ج1 ص 313

[25] البيان والتبيين - الجاحظ

[26] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري- ج1 ص455

[27] سورة البقرة، الآية 30

[28] لزوما لا يلزم – ج2 ص 9

[29] محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصبهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت،1961م ج2، ص 665

[30] سقط الزند – ص 14

[31] ديوان إشراقة – ص 40

[32] المصدر نفسه ص 10

[33] المصدر نفسه ص 84

[34] المصدر نفسه، ص 37

[35] المصدر نفسه، ص 64

[36] رسالة الغفران – المعري – ص 294 – 295 – 296

[37] لزوم ما لا يلزم، ج3، ص283، 284

[38] سقط الزند، ص 68

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب:

1. أخبار الحلاج – (ابن الساعي) علي بن أنجب بن عثمان، نسخة إلكترونية ضمن الموسوعة الشعرية، أبوظبي،

2. إشراقة، ديوان – المطبعة الوطنية – الخرطوم – ط2 1949–م

3. الإفادات والإنشاءات – (الشاطبي) محمد بن سليمان بن محمد، ت، محمد أبو الأجفان،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1، 1983م

4. جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير الطبري- ت/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م

5. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار- (الزمخشري) جار الله محمود بن عمر، ت، سليم النعيمي، بغداد –1976 1982م

6. رسالة الغفران – المعري – ت، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) – دار المعارف- القاهرة – 1969م

7. سقط الزند – دار صادر- بيروت – دار بيروت للطباعة والنشر- 1957

8. شرح العقيدة الطحاوية، الأذرعي، ت/ ناصر الدين الألباني، طبعة مصر، 2005م

9. لزوم ما لا يلزم، من شعر المعري – دار صادر – بيروت –

10. اللطف واللطائف – (الثعالبي) عبد الملك بن محمد،ت،عمر الأسعد، دار المسيرة، بيروت

11. المحاسن والمساوئ – إبراهيم البيهقي، دار صادر، بيروت،1968م ص54

12. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصبهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت،1961م

13. المستطرف في كل فن مستظرف – الأبشيهي(شهاب الدين)، ت،إبراهيم أمين، المكتبة التوفيقية،

ISSN: 1858- 7682 (Online) ISSN: 1858- 7666 (Print)